الصحافة الاستقصائية في الجزائر
هل هي مؤشر فعلي على الانفتاح الاعلامي والتقني ؟

Investigative journalism in Algeria
Is it an indication of media and technical openness?

آيت قاسي ذهبية*

كلية العلوم الإنسانية -الجامعة الأغواط -الجزائر

****

تاريخ الإرسال:2018/10/04 تاريخ القبول:2019/01/15 تاريخ النشر: 31 جانفي 2019

ملخص:

تحاول الدراسة الوقوف على الخصوصيات الفنية و المضامينية للصحافة الاستقصائية، التي تعد من اهم الانواع الصحفية من حيث سعيها للكشف عن الحقائق خاصة في ظل التكنولوجيات الحديثة للاتصال، التي افرزت لنا اشكالا جديدة لتقديم مادة اعلامية ، استغنت عن حواملها التقليدية (الصحيفة الورقية)، وتبنت مرغمة او مفضلة نموذجا الكترونيا، اثر بخصائصه على بنية الرسالة الإعلامية و على قوالبها الفنية.

والمشهد الاعلامي في الجزائر ليس بمنأى عن هذه التحولات فقد اصبحنا امام صحافة الكترونية لها مستخدميها ومرتاديها.

من جهة اخرى تخطوا الجزائر أولى خطواتها في مجال البث الفضائي الخاص بفتح المجال السمعي البصري أمام استثمار الخواص، مما غير من خارطة المشاهدة لدى الجمهور الجزائر ي، الذي التف حول قنوات تلفزيونية خاصة ومتخصصة ببرمجة متنوعة و مختلفة، تخاطب مختلف اطياف المجتمع. فهل ساهمت هذه التحولات في تطور صحافة البحث و التنقيب؟.

* - *الباحثة المرسلة: ait.sirdahbia@yahoo.com / - أستاذة محاضرة (ب) بقسم علوم الاعلام والاتصال ، كلية العلوم الإنسانية و الإسلامية و الحضارة بجامعة عمار ثليجي الأغواط .

الكلمات المفتاحية: الصحافة الاستقصائية ، تكنولوجيات الاتصال، الصحافة الالكترونية، المعلومة ، القنوات التلفزيونية الخاصة.

Abstract:

This study TRIES to know the characteristics of the investigative journalism in the Algerian media at a stage that has known many transformations, including: the promulgation of a new media law, with the opening of the audiovisual field to the private, AND the emergence of electronic journalism

Which led us to find out the privacy of the press survey at this stage as journalism develops in special environments that require high doses of freedom of expression and access to information.

Did the advantages of the stage really contribute to the development of this type in terms of subtraction and treatment?

***Keywords**: investigative journalism, communication technologies, electronic journalism, information, privâtes télévision channels*.

مقدمة*

الصحافة الاستقصائية أو بالأحرى النوع الصحفي الاستقصائي، من الانواع الصحفية التي تكتسي أهمية بالغة ،سواء للمؤسسة الاعلامية أو للجمهور المستهدف، كونها تمثل المهمة الاسمى للصحفي المتمرس، كباحث عن الحقيقة ومنقب، يحاول فك ألغاز العديد من القضايا الشائكة التي تكتنفها السرية ويلفها الغموض.

والاستقصاء من الانواع الصحفية التي رغم مكانته بين الأنواع الصحفية الأخرى (الخبرية والسردية والفكرية ...) إلاّ أنّنا نلمح ندرته، وإن لم نقل غيابه عن صفحات جرائدنا اليومية والدورية، وعن برامجنا الاذاعية والتلفزيونية كونه من الأنواع التي تتطلب وقتاً وجهداً وإمكانيات مادية معتبرة...

غير أنَّ ما يدفعنا للحديث عن الاستقصاء الصحفي أمران أولهما: التغيرات والتحولات التي عرفتها الساحة الاعلامية في الجزائر، خاصة بعد انفتاح القطاع السمعي البصري، و"تحرر" المشاهد من إحتكار التلفزيون العمومي للمعلومة الرسمية و"تستره" على الحقائق، وإحجامه عن الخوض في الكثير من الملفات التي تهم الرأي العام الجزائري على وجه الخصوص...

الأمر الثاني: وهو تداعيات التكنولوجيات الحديثة للاتصال على المهنة الاعلامية، خاصة ما تعلق بظهور الصحافة الالكترونية، وميل الجمهور المستخدم الى المعلومة المقتضبة المختصرة (جيل الابهام و السرعة والاختصار)، مما جعل الأنواع الصحفية الطويلة المشبعة "مملة" بالنسبة لهكذا مستخدم، يفسره قلة عدد المشاهدات (التصفح) لمواضيع التحقيق، والرأي، وغيرها... ما أدى بالعديد من العناوين الصحفية للاستغناء عنه، خاصة تلك التي تكتفي بالنموذج الالكتروني،أو فرض نمطاً جديداً (قالباً)، في تقديم المادة التحقيقية، تجمع بين الصورة، والصوت، و النص (الملتميديا)...، علّه بذلك يثير اهتمام المستخدم.

مما دفعنا لطرح الإشكال التالي:

هل التحولات التي عرفها المشهد الاعلامي الجزائري، من فتح للمجال السمعي البصري، وتبني الصحف الوطنية للنموذج الالكتروني، ساهم في تطور

وانتشار الصحافة الاستقصائية شكلاً ومضموناً، أم أنّه عمَّق الهوَّة بين ما يريده الجمهور، وما يتيحه الواقع المهني، و ما ترمي إليه الصحافة؟.

للإجابة عن الاشكالية قمنا بتحليل مضمون المقالات الاستقصائية التي وردت بصحيفة الخبر اليومي (مقالين فقط)، و اخترنا اعداداً من برنامج "الشروق تحقق"، على قناة الشروق نيوز ، وقد ادرجنا واحداً كتلخيص للدراسة . (كما هو موضح في الجانب التطبيقي اسفله).

كان اختيار جريدة الخبر الالكتروني باعتبار ها احتلت موقعها المرتبة الثالثة من حيث ترتيب الصحف الجزائرية الاكثر مقروئية على الانترنت ،[i] (الصحف الجزائرية الأكثر مقروئية على الأنترنت سنة 2014 على الموقع الالكتروني- . http://dir.dzemploi.org/)، واقتصارنا على عددين فقط لاحتوائهما على التحقيق الصحفي وانحصاره فيهما. بمعنى ان الاعداد الاخرى لم يرد فيها هذا النوع الصحفي .

اما في المجال السمعي البصري فإن اختيار القناة التلفزيونية الخاصة كان من باب احتلالها المراتب الاولى من حيث نسبة المشاهدة لدى الجمهور الجزائري حسب دراسة لمعهد " ايمار" ، اذ احتلت المرتبة الثانية بعد قناة النهار الاخبارية سنة 2016

بنسبة 22 % [ii] (% 48.8 من الجزائريين يتوجون "الشروق تي في" القناة الأكثر مشاهدة في الجزائر على الموقع الالكتروني : https://tv.echoroukonline.com) من نسب المشاهدة.

اعتمدنا في تحليل المحتوى على استخراج فئات التحليل التالية:

- فئات الشكل (كيف قيل؟):
- فئة العناوين :
- فئة القوالب :
- فئة الصور الصحفية:
- فئة اللغة التعبيرية :

فئات المضمون: (ماذا قيل؟).

- فئة الموضوع :
- فئة المصادر المعتمدة:
- فئة الجمهور المستهدف :
- فئة الشخصيات الفاعلة في العدد :

اما عن وحدات التحليل فاعتمدنا في تحليل محتوى المقالات الواردة بصحيفة الخبر الالكتروني : وحدة الفكرة ووحدة الموضوع.

اما في تحليل محتوى برنامج " الشروق تحقق " فاعتمدنا وحدة الزمن و وحدة الفكرة ووحدة الموضوع.

أولا: مفهوم الصحافة الاستقصائية:

هناك اختلاف بين الباحثين و المهنيين، حول تقديم تعريف واضح وشامل للصحافة الاستقصائية، فبعضهم يراها نمطاً من أنماط التغطية الصحفية، التي تعتمد التفسير المعمق و التحليل المستفيض، والمعالجة الوافية للظواهر و الأحداث، ويراها البعض تلك الصحافة التي تعنى بكشف وفضح كل أوجه الفساد و الانحراف و التقصير في أداء مؤسسات المجتمع لأدوارها، و التصدي لها من خلال دورها الرقابي و النقدي. (أبو يوسف وآخرون، 2018، ص29-30).

هناك من يراها بحثاً أصيلاً يقوم به الصحفي باستخدام مادة خام جمعها من مقابلات، وعبر مقارنات لحقائق و أرقام واكتشاف أنماط وصلات لم تكن معروفة من قبل، ويتطلب الكثير من الوقت لجمع الادلة و البراهين، ويرتكز على السبر و الشك وأساس نجاحه اعتماده المصداقية في الطرح و المعالجة. (راندال، 2007، ص 168).

فالصحافة الاستقصائية إذاً، هي تلك المادة الصحفية القائمة على أسس منهجية، يتحصل من خلالها الصحفي على معلومات تفيده في الوصول الى حقائق وتعتمد على البحث والتدقيق و الاستقصاء، حرصاً على الموضوعية والدقة.

تواجه (الصحافة الاستقصائية) الكثير من الصعوبات في المنطقة العربية، كونها مرتبطة بمدى الحرية، التي تتاح للصحفي مع غياب قوانين تشرع له حق الحصول على المعلومة. (الابراهيم ، 2018، الصحافة الاستقصائية : صعوبة عدة ونبش في خفايا القصص بالبحث و التدقيق) https://ijnet.org/ar/blog

ثانياً: التكنولوجيات الحديثة للاتصال و الصحافة :

ساهمت التكنولوجيات الحديثة للاتصال، في تسهيل الكثير من مراحل انجاز أي نوع صحفي بعد أن طورت أساليب جمع و معالجة و توزيع واستقبال المعلومة،[1](محمد عبده حسونة ، د سنة ، ص وص26 و27)، وجعلت من صحافة المواطن مصدراً مهماً،

[1]- نسرين محمد عبده حسونة، اثر التطور التكنولوجي على التحرير الصحفي، شبكة الالوكة www.alaluka.net تاريخ وساعة التصفح 2016/10/11

تعتمد عليه المؤسسات الاعلامية في سبر و غور ما يحدث في المجتمع، وما يثير اهتمام المواطن (المستخدم) من خلال تتبع ما ينشر ويناقش عبر المنصات الاجتماعية (الفايسبوك) و(اليوتيوب)...

اتخذت بعض الصحف والمجلات الالكترونية والقنوات التلفزيونية، ما يذاع عبر شبكة اليوتيوب أو ينشر عبر الفايسبوك والانتستغرام ويحظى بأكبر نسب تصفح أو مشاهدة ، مادة اعلامية خصصت لها أركان قارة وبرامج خاصة، يديرها محلّلون وخبراء غرض مناقشتها وتحليلها...

كما أعطت التكنولوجيات الحديثة للاتصال مفهوما جديداً للسبق الصحفي، فأضحت أغلب المؤسسات الصحفية تتنافس لإيصال الخبر بالصوت والصورة عبر استخدام الهواتف الذكية الموصولة بشبكة الانترنت، والتي تمكن أي مراسل صحفي من نشر وعرض خبره لحظة وقوعه، ومكن أيضا المؤسسات الاعلامية من الاعتماد على صور وفيديوهات مواطنين (هواة) كانوا شهود عيان في مسرح الحدث...وبالتالي عرضها ونشرها عبر مواقع الصحف الالكترونية أو القنوات الاخبارية أو عبر شريط الأخبار الظاهر أسفل الشاشة التلفزيونية، للقنوات الإخبارية وغير الإخبارية.(آخر خبر، خبر عاجل، خبر هام...).

غير أنّ هذا السباق المحموم لنشر آخر الاخبار، وجذب المستخدم أو الجمهور المشاهد، أثّر على بنية الخبر الذي استغني على بقية جسمه...بفعل طبيعة الجمهور المستخدم الذي أصبح يهتم فقط بماذا حدث؟...وهو من يقرر هل يهمه الاطلاع على بقية التفاصيل (أغلب المواضيع التي تنشر بالخصوص عبر الصحف الالكترونية، تجزأ المادة الصحفية الى عدة فقرات، وتكتفي بإظهار بعضها، والمستخدم إذا أراد معرفة تفاصيل أكثر عن الموضوع، ما عليه سوى النقر على عبارة " **اقرأ المزيد**" ليظهر بقية النص...) .

من جهة ثانية، أصبح الاهتمام بجدّية الخبر، وآنيته، و سرعه إيصاله للجمهور على حساب صحة الخبر، ومصداقيته، لذا في كثير من الأحيان يتم الاعتذار عن أخبار نشرت، وتفاصيل عرضت، لا أساس لها من الصحة، نتيجة تسرع الصحفي في نشرها، دون التأكد من صحتها...

ثالثاً: الصحافة الاستقصائية و التكنولوجيات الحديثة (اشكالية التكوين):

يؤكد "نصر الدين لعياضي" أن الاعلام الجديد جدّد النقاش حول الانواع الصحفية، وكيفية تدريسها في الجامعات والمعاهد، فوسائل الاعلام و الصحافة المكتوبة في الغرب تعيش مرحلة التغيير في قوالب الكتابة الفنية، أما في المنطقة العربية، فيتطلب التفكير في مؤسسات تدريس الصحافة والاعلام. (لعياضي، 2011، ص 01).

أثرت التكنولوجيا الحديثة (بوسائطها وتطبيقاتها)، على البحث و التحرير والتوثيق و الاخراج، وأثرت أيضاً على الجانب الفكري في تكوين الصحافيين، وأدت الى ظهور مهن جديدة وانقراض أخرى . (لعياضي، 2011، ص 119)، بفعل عوامل كثيرة منها: انتقال الصحيفة والتلفزيون في ظل التفاعلية من مادة اعلامية الى فضاء لإلتقاء الآراء، والأفكار وتأويل المشاهد والمقالات، كل حسب توجهه، وقدراته، وميزاته النفسية.(لعياضي، 2004، ص124).

مما جعل من تكوين الصحفيين انشغالا لدى المعاهد والأقسام والكليات وأصبح القاسم المشترك في تكوينهم يتضمن: اشتراط ثقافة عامة متينة، ويقصد بها مجموع المعارف، التي تسمح للصحفي أن ينظر للأحداث بنوع من العمق والدراية، ليشبع حاجة الجمهور للمعرفة، و الاطلاع، ويمكنه من اتخاذ القرارات، و الحكم على الوقائع والآراء، بنوع الذكاء، و الفطنة، ويُكون لديه حساً نقدياً.(لعياضي ، 2004، ص 125).

كما يشترط أيضا امتلاك ثقافة متخصصة، تتمثل في اعادة النظر في اشكال الكتابة الصحفية، وقوالب التعبير، بالرؤية النقدية، و تأهيل الصحفيين الى التحرير وفق منطق "النص المتشعب"، مع اعادة النظر في مفهوم " القيم الاخبارية" التي ارتبطت في عصرنا بسرعة الانترنت، وخطابات حقوق الانسان، والمساواة، والديمقراطية، والحرية ...وغيرها. (لعياضي، 2004، ص 125).

بالإضافة الى تدريس قوانين واخلاقيات المهنة، خاصة ما تعلق بالتأطير القانوني للعمل " الصحفي" في الانترنت. (لعياضي، 2004، ص 127).

والتركيز على اقتصاديات الاعلام، و سميولوجية الصورة و الاتصال المرئي، مع اعادة النظر في سوسيولوجيا الجمهور، وتمكين الصحافيين من الاستخدام الفعال للتكنولوجية الحديثة. (لعياضي، 2004، ص ص 127 و128).

وتؤكد الدراسات الحديثة أنّ التطورات التكنولوجية بمختلف وسائطها، وبما أتاحته، قد ساهمت عبر ما يسمى بصحافة المواطن، من تطوير وظيفة التحقيق والاستقصاء،

رغم ما تفرضه بعض الانظمة السياسية من رقابة، و تضييق، خاصة في جانب كشف الفساد الاقتصادي و الأمني. (ابو يوسف وآخرون، 2016، ص29) .

رابعاً: الدراسة التطبيقية:

- **الاستقصاء عبر صفحات الخبر الالكتروني :**

اكتفت صحيفة "الخبر اون لاين" على ادراج تحقيقين صحفيين وحيدين على امتداد الفترة الزمنية من 2014-فيفري 2018 .

- التحقيق الصحفي رقم 01، بعنوان "**هاربون من الحرب يطلبون الصدقة والأمان"** نشر بتاريخ 24جويلية 2014، بقلم نور الدين بلهواري، مراسل الجريدة بولاية تلمسان.
- التحقيق الصحفي الثاني رقم02، بعنوان "**ضحايا زيوت الاسكاريل ... الموت البطيء"**، نشر بتاريخ 16 ديسمبر 2016، بقلم ب. وسيم ، مراسل الجريدة بولاية الاغواط.

أولاً: **تحليل مضمون التحقيقين الصحفيين في (صحيفة الخبر الالكتروني):**

- **فئات الشكل: (كلا الموضوعين)**

- **فئة العناوين : في التحقيق رقم 01" هاربون من الحرب يطلبون الصدقة والأمان".**

قليلة هي العناوين التي إعتمدها الصحفي في نصه مما جعل القارئ (المستخدم) أمام نص طويل ومكتظ قد يسبب لديه نوعا من الملل هي:

العناوين الوصفية، باعتباره ركز في موضوعه على وصف الحالة المزرية واللاإنسانية للاّجئين الأفارقة والسوريين فكان عنوان المقال ككل وصفي: " هاربون من الحرب يطلبون الصدقة والأمان". و" شهر رمضان لم يغير عادات النازحين " عنوان وصفي

- اعتمد أيضا على العنوان الاقتباسي في فقرات النص " عبد الاله بن اشنهو محامي ورئيس الهلال الأحمر: نحن بصدد ظاهرة هجرة و ليس لجوء..."

-" الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الانسان : الجزائر مطالبة باحترام المواثيق الدولية التي وقعت عليها" عنوان اقتباس

-بالإضافة الى عنوان تقريري " الجالية السورية أكثر غموضا و انغلاقا".

- **فئة العناوين : في التحقيق رقم 02"** بعنوان "**ضحايا زيوت الاسكاريل ... الموت البطيء"**،
- **فئة العناوين :** استخدم المحقق الصحفي عنوان رئيسي تقريري، يعبر عن المشكلة الاساسية المعالجة في الموضوع الصحفي " **ضحايا زيوت الاسكاريل ...الموت البطيء"**، بالإضافة الى عناوين فرعية، كان الغرض منها تقسيم المقال الى فقرات حسب مراحل انجاز الموضوع (تحديد المشكلة، البحث في الاسباب وتسليط الضوء على النتائج، ثم التركيز على الحلول المتاحة والضرورية)، وخلق نوع من التناغم حتى لا يشعر المستخدم بالملل نظرا لطول النص الصحفي...

تتنوع العناوين الفرعية ما بين **تقريرية:"** شهادات للمعاناة و التألم المجهول"، " حتى المواشي لم تسلم من خطر زيوت الاسكاريل".....**ومجازية** " براميل الموت هنا "، " تشوهات جلدية وامراض سرطانية تنهش الضحايا".....**وخبرية:** " سنة 2012 بداية المطالبة بالحقوق الضائعة "، " احتجاجات وطنية دورية لمساندة ضحايا الاسكاريل"...

- **فئة القوالب الفنية :**

جاء التحقيق الأول في قالب "**الوصف**" حيث ركز المحقق الصحفي على ابراز معاناة اللاجئين الأفارقة والسوريين ووصف حالتهم المأساوية من فقر وجوع وغياب للعناية الصحية.

وجاء التحقيق الثاني في قالب **"العرض"** حيث ركز المحقق الصحفي على عرض المشاكل الصحية التي يعانيها الشريحة، التي كلفت في ظروف سياسية و أمنية بحراسة براميل لمادة سامة يجهلون خطورتها، كما اعتمد الصحفي على عرض إحصائيات وأحداث تاريخية مرتبطة بالقضية .

- **فئة الصور الصحفية:**

استخدم في كلا الموضوعين صور (صورتين) الموضوعات التي تبرز في الموضوع الأول الحالة المزرية للاجئين الأفارقة، وتبرز في الثانية البراميل المهترئة، التي تحوي زيوت الاسكاريل .

- **فئة اللغة التعبيرية** : استخدم في كلا التحقيقين اللغة العربية الفصحى، باستخدام الفاظ بسيطة وسهلة، مع عدم اللّجوء للعامية إلا كلمة واحدة" كرتون" استخدمت في التحقيق الأول.

- **فئات المضمون** : (ماذا قيل).

- **فئة الموضوع : (التحقيق رقم(01)**

قسمنا النص الصحفي الى:

الموضوع الرئيسي: الوضعية المزرية التي يعيشها اللاجئون الأفارقة و السوريون بتلمسان خاصة في الشهر الفضيل.

وتفرعت عنه مجموعة من المواضيع الفرعية المرتبطة بالموضوع الرئيسي بالاعتماد على وحدة الفكرة.

-بداية لم يشر الصحفي في تحقيقه الى طبيعة المشكلة التي يريد معالجتها، في حين ركز على وصف الوضعية المزرية التي يعيشها اللاجئون الأفارقة والسوريون، من خلال تسليط الضوء على أماكن تواجدهم، والتي تفتقر لأدنى شروط العيش الكريم، والتي تكررت في النص بنسبة 55.85‰ و 21.62 ‰ على التوالي، في حين خصص لانعدام الرقابة الصحية، والتلقيح لأولئك اللاجئين نسبة لا تتجاوز 2.70‰، وهي لب الموضوع في غياب تكفل السلطات المحلية بالوضع.

يتبين من خلال توزيع الافكار (التي شكلت في مجموعها الموضوعات الفرعية)، عدم توازن نص المقال، واتجاهه أكثر للوصف والعرض أكثر من التركيز على تفاصيل معينة وهامة، تكون محور تحقيق الصحفي...حيث يصعب على القارئ (المستخدم) تحديد المشكلة المطروحة. (عن ماذا ينقب الصحفي، و في ماذا يحقق؟)، لأن كل ما ورد من وصف في المقال ظاهر للعيان.

- **فئة المصادر المعتمدة :**

اعتمد الصحفي في تحقيقه فقط على مصادر بشرية، تنوعت بين اللاجئين الأفارقة والسوريين (محور التحقيق) و بين شهود العيان (سكان الاحياء)، بالإضافة الى حقوقيين، كطرف أساسي يوضح الوضعية القانونية لأولئك اللاجئين، وكذا الاجراءات المنتهجة لرعايتهم والتكفل بهم في حين يخلو ا النص من المصادر المادية التي تعد ذات أهمية كبرى في التحقيقات الصحفية (ما تعلق بالوثائق و الاحصاءات...).

التحقيق الصحفي الثاني رقم02، بعنوان "ضحايا زيوت الاسكاريل ... الموت البطيء"، نشر بتاريخ 16 ديسمبر 2016، بقلم ب. وسيم ، مراسل الجريدة بولاية الاغواط.

تحليل المضمون الشكلي و الفني للتحقيق الصحفي رقم 02.

- **فئات المضمون (ماذا قيل):**

- **فئات الموضوعات**: الموضوع الاساسي وهو" وفاة واصابة اعوان للحرس البلدي بولاية الاغواط بأمراض سرطانية خطيرة، جراء حراستهم لبراميل تحتوي زيوتا سامة وخطيرة "زيوت الاسكاريل" .
- **فئة المواضيع الفرعية :**

قسم الصحفي موضوعه الى عدة محطات حتى يتمكن من الالمام بكل الخطوات التصورية و الميدانية لانجازه ، مبينا وبإسهاب المشكلة الاساسية التي يريد تسليط الضوء عليها، بغرض تحريك الرأي العام، وبالخصوص المحلي حولها.(والتي مثلت 21.25‰، موجهاً أصابع الاتهام بشكل صريح، وبالاعتماد على التسلسل التاريخي للأحداث الى السلطات العمومية، كسبب رئيسي للمشكلة (القضية)، بالإضافة الى ابراز تهربها من تحمل المسؤولية، و التكفل بالضحايا و عائلاتهم، واتخاذها اجراءات ردعية ظالمة حتى تكمم الافواه و تبقي القضية بعيدة عن الرأي العام. و التي مثلت نسبة (15‰ و8.75‰ على التوالي).

- **فئة المصادر المعتمدة:**

اعتمد الصحفي في تحقيقه على مصادر بشرية، تمثلت في اجراء مقابلات مع شخصيات فاعلة، لها علاقة مباشرة بالقضية موضوع البحث والتنقيب، أو ساهمت بشكل أو بآخر في مجريات الحدث في الماضي أو في الحاضر، غير أنّه ركز على الأطراف المتضررة أو شهود العيان، في حين أهملت الأطراف المتسببة في المشكل والتي بيدها الحل، لأسباب قد تعود الى رفض أولئك الإدلاء بتصاريحهم وتهربهم من المواجهة ...وتنصلهم من المسؤولية.

كما اعتمد أيضا الصحفي على التوثيق، والاحصاءات، كحجج وبراهين، تعطي مقاله مصداقية وقوة في التأثير... ذلك أن "الرقم" مهم في التحقيق كونه يعبر فعلاً على فداحة المشكل.

- **فئة الجمهور المستهدف :**

يستهدف التحقيق الصحفي بحث المشكلة، والغوص في أسبابها للوصول الى حلول فعالة، وكثيرة هي التحقيقات العالمية التي غيرت أوضاع كثيرين، ودفعت بمسؤولين كبار للتحرك واتخاذ التدابير الملائمة، مما يؤكد قوة التحقيق الصحفي، وانفراده عن غيره من الانواع الصحفية بميزات خاصة.

وهنا حاول الصحفي في مقاله تسليط الضوء على نقطتين مهمتين : معاناة عمال بسطاء عانوا الأمرين بسبب براميل كلفوا بحراستها، ودون أن يدركوا خطورة المادة التي تحويها، فابتلوا بأمراض قاتله ومزمنة في ظروف اجتماعية قاهرة، ودون تلقيهم أي مساعدة أو تكفل صحي من الجهات المسؤولة، وهي الوضعية الصعبة التي حاول الصحفي التركيز عليها، بإبراز استغلال المسؤولين لسذاجة اولئك العمال، مما سهل عليهم مهمة خداعهم في الماضي، والتهرب من مسؤولية التكفل بهم وبعائلاتهم في الحاضر، في رسالة الى السلطات العليا علّها تتدخل وتنهي معاناة اولئك ...خاصة بعدما أصبحت قضية مجتمع محلي بحاله، وتبتها جمعيات المجتمع المدني.

- **الاستقصاء في القنوات التلفزيونية الجزائرية الخاصة:**

تعددت البرامج الاستقصائية التي اتجهت القنوات التلفزيونية الجزائرية الخاصة الى عرضها على جمهورها، ربما هي من جهة محاولة لجذب الجمهور الجزائري، كونه يعد من الانواع الصحفية التي تحمل في طياتها الكثير من التشويق و الإثارة، و تكشف العديد من الحقائق و الخفايا المرتبطة بقضايا تهم الرأي العام الداخلي، ومن جهة أخرى ، هو دليل على حماسة الشباب و جرأتهم على الخوض في الكثير من القضايا الشائكة و المبهمة، ورغبة مؤسساتهم في الحصول على المعلومة و الاستفادة منها، بعدما كانت لعقود حكراً على التلفزيون العمومي...

من تلك البرامج نجد " زاوية الظل على قناة " النهار الاخبارية" و برنامج" الشروق تحقق" على قناة الشروق الاخبارية وبرنامج 30 يوم تحقيق" في قناة الخبر ، "

وهنا اخترنا برنامج "الشروق التي تناولت العديد من المواضيع المهمة في تحقيقاتها :

الجدول رقم (06) يبين مختلف مواضيع برنامج " الشروق تحقق".

التاريخ	الموضوع
07 نوفمبر 2015	فنادق جزائرية...كشف المستور

04 مارس 2016	هستيريا الذهب... الجزء الأول.
13 مارس 2016	هستيريا الذهب... الجزء الثاني.
03 افريل 2016	الثروة المنسية... اللحوم الحمراء.
08 ماي 2016	جريمة في الأعماق .
20 ديسمبر 2016	نوابغ الجزائر ...عقول تحت الرماد
13 فيفري 2017	كنوز الجن
10 افريل 2017	عصابات نهب الرمال ...سرقة مستباحة في الشواطئ الجزائرية
07 ماي 2017	حملة طرد الأفارقة ..هل الجزائريون عنصريون.
13 نوفمبر 2017	أماكن جد معزولة ...لا تستغرب هي موجود في الجزائر.
04 ديسمبر 2017	فتيات حملن من ازواجهن قبل الدخول بهن.
18 ديسمبر 2017	التمور الثروة الضائعة.
12 فيفري 2018	سماسرة السيارات
29 جانفي 2018	شاحنات الموت في الطريق السيار

بالإضافة الى تحقيقات أخرى بالعناوين التالية : " مدينة التزوير، شاهد أحدث طرق التزوير" و " فضائح النصب والاحتيال عبر النت" و " مافيا العقار: الملاك الحقيقيون " وغيرها ...

الملاحظ تنوع المواضيع التي كانت محل التحقيقات الصحفية التي أجراها صحفيو القناة، غير أن طبيعتها بقيت منحصرة في الجانب الاجتماعي، الاقتصادي، الغرائبي، دون الخوض في القضايا "الحساسة" المتعلقة بالفساد المالي و الإداري والسياسي التي لا ربما تثير حفيظة بعضهم. ولعل السبب الرئيس ادراك المحقق الصحفي صعوبة الوصول الى المعلومة، وكشف الجهات الفعلية التي تقف وراء الكثير من المظاهر و الظواهر...

للوقوف على بنية وخصوصية الاستقصاء التلفزيوني في القنوات الخاصة، تم اختيار اعداد من برنامج "الشروق تحقق". وأخضعت لتقنية تحليل المحتوى، وقد ادرجنا في هذا المقام واحداً منها كنموذج لتحقيق في قضية فساد متعددة الأوجه (اقتصادي، اداري، وحتى سياسي باستغلال السلطة لمصالح شخصية)..

بداية تحليل محتوى برنامج " الشروق تحقق" بعنوان " الخليفة لطيران الأموال".

- **فئات المضمون (فئات ماذا قيل؟):**

- **فئة المواضيع:**
- **الموضوع الرئيسي : التحقيق في مصير ملف " الخليفة للطيران".**

المواضيع الفرعية موزعة على مراحل انجاز التحقيق الصحفي:

بداية بمراحل تقديم موضوع الاستقصاء، حيث بدأ المحقق الصحفي بالتعريف بموضوع تحقيقه الذي بدأه بالنهاية (انهيار مجمع الخليفة)، ليركز على سؤال جوهري سيحاول الاجابة عنه من خلال المراحل التالية في شكل تسلسل منسجم " **البحث عن خلفية قضية " الخليفة للطيران" / خاصة ما تعلق بتهريب وتبييض الاموال/أسباب تأخر مثول الملف امام محكمة الجنايات".**

حاول المحقق الصحفي ترتيب مراحل انجاز تحقيقه بصفة تساعده على التدرج حيث بدأ من نهاية القضية (انهيار مجمع الخليفة)، ليسلط الضوء على المشكلة التي سيحاول الاجابة عنها عبر مراحل التحقيق وهي :

- البحث عن خلفية قضية " الخليفة للطيران"، خاصة ما تعلق بتهريب وتبييض الاموال، والكشف عن أسباب تأخر مثول الملف امام محكمة الجنايات.(بأسلوب شيّق).

قسم المحقق موضوعه الى موضوعات فرعية مرتبطة بالموضوع الرئيسي بغرض توضيح ظروف القضية محل المعالجة و البحث وتتبع مراحلها التاريخية .

-**الموضوع الرئيسي:** مصير ملف "الخليفة طيران" من المحاكمة وعلاقته بملف "خليفة بنك"

المواضيع الفرعية، التي بدورها تتفرع الى مواضيع فرعية اخرى تندرج ضمنها.

- وصف الظروف الصعبة التي مرت بها الجزائر.
- ميلاد شركة" الخليفة للطيران".
- شركة " الخليفة طيران" تكبر وتنمو بسرعة.
- بداية نهاية " شركة الخليفة طيران.
- الكشف عن العلاقة مابين " خليفة بنك " و " الخليفة للطيران".
- القضاء الفرنسي عالج قضية الخليفة طيران بأبعاد سياسية.
- رغم التجاوزات القانوني شركة " خليفة للطيران " كانت شركة ناجحة.
-الضحايا يطالبون باسترجاع اموالهم من بنك وشركة "خليفة طيران"....

- **فئة الشخصيات الفاعلة في العدد :**

حاول المحقق الصحفي التركيز على الكثير من الحقائق المرتبطة بموضوع التحقيق من خلال عرض شهادات بعض الشخصيات، التي كانت حاضرة في مجريات الحدث والتي لها صلة بـ(قضية الخليفة بنك و الخليفة طيران)، وصنعت بشكل غير مباشر بعض فصولها (محاميين، دفاع، ضحايا...).

حاول المحقق الصحفي أيضاً فهم وتفسير الكثير من المحطات المرتبطة بالقضية، من مختلف وجهات نظر الشخصيات الفاعلة، (محام الدفاع، محاميين وحقوقيين مضطلعين في القانون، ضحايا..).

اعتمد البرنامج أيضا على شهادة كاتب صحفي، ملم بقضية "مجمع الخليفة "، والذي هو بصدد إصدار مؤلف حول القضية.

لم يكن هناك تقسيم متوازن في المدة الزمنية المستغرقة لتلك الشخصيات في البرنامج، حيث إستغرق الجانب المدافع زمناً لم يتجاوز الدقيقة و النصف من وقت البرنامج المخصص لقراءة النص الصحفي و عرض شهادات الشخصيات الفاعلة)، في حين خصص للمحامين المتأسسيين في قضية مجمع الخليفة فترة زمنية تجاوزت 15 دقيقة من زمن البرنامج.

- **فئة المصادر البشرية المعتمدة:**

اعتمد التحقيق الصحفي كما هو موضح في الجدول أعلاه على مصادر بشرية تمثلت في الاحاطة بمختلف اطراف القضية " خليفة بنك وخليفة طيران" محامي الدفاع الذي يمثل جانب عبد المومن خليفة و شخصيات مثلت الجانب المقابل (محاميين تأسسوا في قضايا مجمع الخليفة)، بالإضافة الى ضحايا الاختلاس في قضية " خليفة بنك"، غير أن توزيع المصادر لم يكن متوازن سواء من حيث التكرار او الزمن، وخصص لشهادات الاطراف (محامين متأسسين في القضية وضحايا) أكبر نسبة(48.9 % من حيث التكرار و 48.01 من حيث الزمن) .

ولعل السبب راجع لتخوف الأطراف التي وقفت الى جانب "المتهم" من التعرض لشبهة التورط في القضية خاصة بعد الفصل في قضية " الخليفة بنك" ، وعدم الرغبة ايضا بكشف تفاصيل تهدد مناصبهم ومصالحهم.

- **فئة المصادر المادية المعتمدة :**

بجانب المصادر البشرية اعتمد الصحفي في تحقيقه على مصادر مادية، كحجج وبراهين تثبت الكثير من الحقائق التي ادرجها في مادته .

فئات الشكل (كيف قيل ؟) :

- **فئة اللغة التعبيرية المستخدمة :**

استخدم في البرنامج اللغة العربية الفصحى بنسبة 74.19 % وهي لغة النص الصحفي على لسان المحقق و الشخصيات الفاعلة في البرنامج (محامين و مدافعين عن حقوق الانسان ..) في حين احتلت الفرنسية المرتبة الثانية بنسبة 12.90 % وهي لغة استخدمها محامي و دبلوماسي اسبق، لتليها العامية بنسبة 7.52 % وهي لغة مواطنين وشهود عيان.

تحيل طبيعة اللغة التعبيرية المستخدمة الى طبيعة الجمهور المستهدف، فكلما كانت راقية (عربية فصحى و أجنبية) فهي تدل على ان المادة الاعلامية موجهة لجمهور خاص (متعلم ومثقف).

نتائج الدراسة :

- الخبر "اون لاين" هو النسخة الالكترونية للصحيفة اليومية الورقية .
- تتيح الصحافة الالكترونية (الخبر) خدمات لايقدمها الخبر الورقي مثل سهولة الوصول الى الاعداد السابقة من خلال (الولوج الى ارشيف الموقع).
- قليلة هي التحقيقات الصحفية التي نجدها على صفحات الجرائد الجزائرية اليومية، فمثلاً من خلال الدراسة، وخلال فترة تمتد من2014 الى 2018 لم تنشر جريدة "الخبر اليومي" الاَّ تحقيقين إثنين، وهما محل الدراسة والتحليل، واكتفت بإدراج ربورتاجات أسبوعية (يوم الجمعة من كل اسبوع)، والسبب قد يكون راجعاً للإمكانات المادية والبشرية التي يتطلبها انجاز تحقيق، بالإضافة الى عامل الزمن، إذ يتطلب انجاز تحقيقات ناجحة وفعالة مدة زمنية اطول، قد تستغرق سنوات في الكثير من المؤسسات الاعلامية الكبرى.
- هذا من جهة، ومن جهة أخرى كثيراً ما يعزف الصحافيون عن الخوض في تحقيقات متعلقة بقضايا " حساسة " قد تثير " حفيظة "البعض ممن يحتكرون المعلومة او يحجبونها ،لكونهم أطرافا فيها أو لحماية مصالحهم والمقربين منهم. لهذا نجد الصحفي يتجه الى قضايا أخرى محاولاً الابتعاد قدر

الامكان عن المواضيع التي تقل او تنعدم حولها منابع المعلومة ...فتجده يحقق " في ارتفاع الاسعار " " "واهمال الثروة الحيوانية" ويتوقف في مساءلته عند أول أو ثاني حلقة في سلسلة المسؤوليات ،أو ينصرف الى المواضيع الغرائبية " حقيقة استخراج الكنوز المدفونة التي يحرسها العفاريت"....أو " حقيقة السحرة و الدجالين "أو " وغيرها.

- أما قضايا الفساد، والاختلاس وتبديد المال العام، وتُهم تبييض الأموال وتهريب العملة الصعبة، فهي "حبيسة الادراج"، خاصة إذا تورطت فيها شخصيات نافذة من جماعة الحل والعقد. فيصعب على الصحفي الوصول الى بعض المصادر المهمة في تحقيقه (ملفات ووثائق تتضمن أحكام قضائية، شهادات، ارقام ...) وغيرها، بحجة افشاء أسرار التحقيق الأمني وبالتالي عرقلة مسار العدالة ....
- الصحفي في اي مؤسسة اعلامية، يكون ملزما باتباع سياستها التحررية و خطها الافتتاحي، مما يفرض عليه تجنب تناول بعض المواضيع التي تتنافى معها، والتي قد تعرض مقاله (تحقيقه) لحذف بعض التفاصيل و عدم ادراج أخرى.
- وفي حالة ما فتح الصحفي ملفاً من ملفات الفساد، فإنّه لا ينفك يعيد صياغة الاحداث، و يتوقف حيثما تتوقف التحقيقات الرسمية. والتي تمنع عنه في اغلب الأحيان ... بحجة حماية الأشخاص ، و عدم التشهير بهم مما قد يترتب عنه عواقب نفسية و اجتماعية على عائلاتهم وابنائهم.....
- تفتقر التحقيقات الصحفية محل الدراسة الى ما يسمى عمق التحليل الذي ينطلق من ادراك الصحفي لُلُب المشكلة (القضية أو الحادثة أو الحدث..) التي سيحاول التنقيب عن حقيقتها وأسبابها وخلفياتها للوصول الى إجابة تقنع القارئ أو المشاهد أو المستخدم، باعتماده على مصادر في شكل حجج وبراهين قوية ومؤثرة، غير أن الملاحظ تذبذب الصحفي وعدم تحكمه في مراحل إنجاز موضوعه، فتنفلت من يده زمام الأمور، فتجده يسير في مختلف الاتجاهات، دون أن يتبع مساراً محدداً يوصله الى هدفه من التحقيق ككل...ولعل السبب الأساسي عدم انطلاقه من خطة عمل يحدد عبرها مشكلته وأهدافه ومصادره البشرية (شهود عيان، شخصيات فاعلة في الموضوع ...) ومصادره المادية

(جمع الوثائق والاحصاءات، أرشيف بصري..)، مستعملاً علاقاته ومعارفه الشخصية وفطنته وقدرته على الغربلة، فهو في الأخير بمثابه تحرٍ و ليس صحفيا عادياً.

- عدم وجود تسلسل منطقي للأحداث والوقائع، فيضيع القارئ أو المشاهد بـ"ضياع" صاحب التحقيق، فغالباً أثناء القراءة أو المشاهدة، يتساءل ما علاقة هذا بالموضوع؟ وعند نهاية النص أو البرنامج يتساءل عن الأجوبة و الحلول؟. وبالتالي يجد نفسه أمام نص متذبذب مترهل، غير واضح يفتقد قوة الاقناع والتأثير.
- لم تجب التحقيقات الصحفية محل الدراسة عن الأسئلة الأساسية التي طرحت في البداية، ولم تأت بالجديد، ولم تكشف عن أية حقيقة كان يجهلها الرأي العام، بعض التحقيقات التلفزيونية في قناة "الشروق نيوز" أعادت تسليط الضوء على قضايا تجاهلها التلفزيون العمومي، وأعادت فقط تأكيد بعض الحقائق، واستظهار وثائق خاصة بالعدالة...والاستماع الى شهادات شخصيات لها صلة بالموضوع..
- صعوبة الوصول الى كل الأطراف المرتبطة بالموضوع، أحدث خللاً في توازن التحقيق...وفي تفحص بعض الحقائق والتأكد منها... بالإضافة الى أنّ المصدر بالنسبة للمحقق في الاعلام الجزائري ليس سوى مادة (وثيقة) تمنح له "بطيب خاطر" من قبل بعض الشخصيات الفاعلة أو الشاهدة في القضية، وإذا منعت عنه صار تحقيقه "أعرجاً مختلاً"، غير مكتمل الفصول و الأجزاء.
- النموذج الالكتروني " الخبر اون لاين" لم يساهم في تطور الصحافة الاستقصائية لا شكلا و لا مضمونا . لان التحقيق الصحفي موجه لقارئ الصحيفة الورقية بنموذجها الالكتروني. فهو يحمل نفس الخصائص).
- فتح المجال السمعي البصري في الجزائر ساعد على تطوير الصحافة الاستقصائية من حيث الكمية لا النوعية (تنوع البرامج التحقيقية في التلفزيون الخاص) ، الا ان المعالجة بقيت سطحية ساذجة وغير معمقة.

خلاصة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة، الوقوف على بعض خصائص الصحافة الاستقصائية في الاعلام الجزائري، في مرحلة عَرَف فيها المشهد الاعلامي العالمي الكثير من التحولات، إرتبطت بتغير الأنظمة الإعلامية والأنظمة السياسية والإقتصادية والثقافية، وبالخصوص في المنطقة العربية، و تأثر وسائل الاعلام التقليدية بتداعيات التكنولوجيات الحديثة للاتصال، التي أثرت على شكل و مضمون الرسالة الاعلامية .

و يعد في الجزائر ، فتح المجال أمام الاستثمار في ميدان السمعي البصري خطوة جديدة، لها ميزاتها و انعكاساتها على الخارطة الاعلامية، وبالخصوص التلفزيونية، بميلاد العديد من القنوات التلفزيونية الخاصة (النهار الاخبارية، دزاير تي في، الشروق، الجزائرية، سميرة...)، والتي رغم بثها لبرامجها من خارج الوطن، وخضوعها لقوانين أجنبية، الاّ أنها استقطبت مختلف فئات الجمهور الجزائري، بفضل تنوع مضامينها ، مما دفعنا للتركيز على الصحافة الاستقصائية، باعتبارها أحد مؤشرات التحول في النظام الاعلامي، واتساع نطاق حرية التعبير ، التي تتيح للصحفي الوصول الى مصادر المعلومة .

لكن من خلال الدراسة، تبين أن الصحافة الاستقصائية الجزائرية في هذه المرحلة لم تعرف الكثير من التطور أو التقدم، رغم تنافس القنوات التلفزيونية الخاصة على انتاج برامج استقصائية، غير أنّ مواضيعها انحصرت في الجانب الغرائبي، والاجتماعي ، الثقافي، المرتبط بنمط تفكير ، تسيطر عليه في الكثير من الاحيان خرافات و أساطير يحاول الصحفي تتبعها، و التأكد من مدى ارتباطها بالواقع والخيال في الوقت نفسه.

دون أن ننسى أن المحقق الصحفي يخضع للكثير من الضغوطات الخارجية (مصادر المعلومة) والداخلية (الالتزام بالسياسة التحريرية المؤسسة الصحفية وخطها الافتتاحي).

كما تفتقد معظم الاستقصاءات في الاعلام الجزائري العمق التحليلي، فالصحفي لا يقوم سوى بإعادة بناء الاحداث من جديد، وفق رؤى مختلفة لشخصيات ارتبطت بالحدث، مع الاعتماد على أدلة، هي في الحقيقة ليست سوى وثائق و أحكام قضائية، تمنح له عن طيب خاطر دون أن يأتي بالجديد. ودون البحث والتنقيب عن تفاصيل أهم ، توصله الى فهم الظاهرة أو الحدث، بسبب صعوبة الوصول الى المعلومة .

أما عن الصحافة الاستقصائية فهي تكاد تختفي بين جنبات الصحف الوطنية ، ربما لصعوبة هذا النوع الصحفي، الذي يتطلب امكانيات مادية و بشرية ويستغرق الكثير من الوقت مقارنة بغيره من القوالب الصحفية.

بالإضافة الى اغفال الصحفي لأهم خطوة في انجاز عمله الاستقصائي، و هي رسم "خطة طريق"، مما قد يفسر ضعف التحقيقات الصحفية و تذبذبها، ولعل السبب راجع لضعف التكوين الاكاديمي في هذا المجال .

المراجع:

1- الصحف الجزائرية الأكثر مقروئية على الأنترنت سنة 2014 على الموقع الالكتروني . - http://dir.dzemploi.org/تاريخ وساعة التصفح 2017/11/17 على الساعة الخامسة زوالا.

2- - 48.8 % من الجزائريين يتوجون "الشروق تي في" القناة الأكثر مشاهدة في الجزائر على الموقع الالكتروني : https://tv.echoroukonline.com/ تاريخ وساعة التصفح 2017/11/17. على الساعة الخامسة زوالا.

3- أبو يوسف، إيناس وآخرون.(2016). دليل صحافة استقصائية من أجل التنمية. القاهرة : مؤسسة فريديريش ايبرت.

4- لعياضي، نصر الدين .(2004).وسائل الاعلام و المجتمع . الامارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي .

5- راندال، ديفيد. (2007).الصحفي العالمي (ترجمة: الامام معين). الرياض: مكتبات العبيكان .

6- لعياضي، نصر الدين.(2011)." رهانات تدريس الانواع الصحفية في المنطقة العربية في ظل الشبكات الاجتماعية الافتراضية". مجلة جامعة الشارقة للعلوم : 8(2): 1 و119.

7- الإبراهيم، علي .(2018)." الصحافة الاستقصائية : صعوبة عدة ونبش في خفايا القصص بالبحث والتدقيق". https://ijnet.org/ar/blog